العرب
الثلاثاء 2020/02/04
السنة 42 العدد 11607

سبتة ومليلية بوابتا المستحيل للأفارقة الحالمين بأوروبا

رحلة الموت برا غالية الثمن للمهاجرين غير الشرعيين

مازال حلم الهجرة إلى "الفردوس" الأوروبي يغوي القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء إلى المغرب رغم ما يتعرضون له من أهوال في رحلتهم الطويلة، ورغم القيود الأمنية التي تمنعهم من الوصول إلى عبور الأسلاك الشائكة التي تفصل المغرب عن إسبانيا، علما وأن بعض الأفارقة اختاروا الاستقرار في المغرب بعد أن توفرت لهم ظروف العمل والإقامة القانونية، فتنازلوا عن مغامرة الموت.

قفزة الموت

لا جنة وراء الحاجز

الفنيدق (المغرب) - يتمنى الشاب الغيني مصطفى أن تتوج رحلته الطويلة لعامين بعبور السياج الحدودي الفاصل بين المغرب وجيب سبتة الإسباني شمال المملكة، في وقت اشتد فيه الخناق على المهاجرين الحالمين بالوصول إلى "الفردوس" الأوروبي.

ويبعد المغرب 14 كيلومترا فقط إلى الجنوب من الساحل الإسباني وله حدود برية مع جيبي مليلية وسبتة على ساحله الشمالي ويحيط بهما سياج ارتفاعه ستة أمتار يعلوه سلك شائك.

وبينما كانت مصادفتهم في جنبات الطرق أو في مخيمات داخل غابات قرب المدن أمرا معتادا، صارت أعداد المهاجرين أقل بكثير في الأشهر الأخيرة. ويعود ذلك إلى تضييق الخناق عليهم من طرف السلطات المغربية انسجاما مع الضغوط الأوروبية المترافقة مع تمويلات لتعزيز مراقبة الحدود.

ويختبئ مصطفى (18 عاما) في مكان ما داخل غابة بليونش قرب سبتة تحسبا للاعتقال في عمليات تمشيط تباشرها السلطات الأمنية بانتظام ضد المهاجرين غير النظاميين، وتثير انتقادات الجمعيات الحقوقية.

ويتوخى الحذر حين يغادر مخبأه، حيث يعيش محروما من كل شيء، ويسير بخطوات مترددة نحو قارعة الطريق ليمد يده أملا في الحصول على قطع نقود أو بعض الماء والقوت، لكن قلة من السيارات تنتبه لوجوده. وكما يقول مغطيا رأسه بقبعة سوداء، يحلم الشاب الذي غادر بلاده منذ عامين، "بالوصول إلى النرويج ليعمل منسق أسطوانات".

وخاض مصطفى رحلة شاقة، مع رفيقيه أحمد وعمر (17 عاما كلاهما)، من العاصمة الغينية كوناكري حتى المغرب مرورا بمالي والجزائر، قبل أن يحالفهم الحظ في التسلل عبر الحدود الجزائرية المغربية.

ويتابع "تخليت عن الدراسة في الثانوية لأخوض هذه الرحلة، لم يكن الأمر سهلا". وقد قطع تلك الطريق الطويلة برفقة صديقيه المتحدرين من نفس الحي بالعاصمة الغينية كوناكري.

وللوصول إلى سبتة يتوجب على الثلاثة تسلق السياج ذي الأسلاك الشائكة الذي يحيط بالمدينة، ويعد بالإضافة إلى سياج مماثل يحيط بجيب مليلية الإسباني باتجاه الشرق الحدود البرية الوحيدة بين أفريقيا وأوروبا.

وتمتد هذه الأسلاك الشائكة على طول الحدود مخترقة الغابات، بينما تظهر سيارات القوات المساعدة في كل مكان تقريبا فضلا عن نقاط المراقبة على المرتفعات.

ومثل مصطفى يظل المهاجرون مختبئين في مخيمات داخل الغابات في ظروف قاسية. و يقول مصطفى متحسرا "السلطات تقتحم الغابة بحثا عنا وإذا عثرت علينا فستقوم بترحيلنا".

ويستطرد رفيقه عمر "اليوم أيضا يبحثون عنا، ننتظر اللحظة المناسبة للعبور، لم نجد الفرصة المناسبة بعد".

وقال المهاجر السنغالي إسماعيل (27 عاما) "السلطات تشن غارات مفاجئة لتمشيط الغابات بحثا عنا ولذلك علينا أن ننام في مكان نستطيع فيه أن نتوقع وصولها ونهرب قبل أن تمسك بنا وترسلنا إلى الجنوب مرة أخرى".

> **يبعد المغرب 14 كيلومترا عن الساحل الإسباني وله حدود برية مع جيبي مليلية وسبتة يحيط بها سياج ارتفاعه ستة أمتار**

ويعيش إسماعيل والمهاجرون الآخرون على التسول وينتظرون أن تواتيهم الفرصة للقفز فوق السياج المحيط بسبتة، وأضاف "ليست لدينا 3000 يورو (3360 دولارا) ندفعها للمهربين لنقلنا إلى إسبانيا بطريق البحر".

إسماعيل تم القبض عليه في السابق وترحيله إلى الجنوب، وتقول السلطات إنها تنقل المهاجرين جنوبا لحمايتهم من المهربين ومنع اقتحام المهاجرين للحدود مع سبتة ومليلية.

وعاد إسماعيل إلى الشمال بالتخفي حتى في عمق الغابات وتجنب المشي في الشوارع نهارا وقال "نحن مجهدون لكننا سنواصل السعي للوصول إلى إسبانيا".

وأعلنت السلطات المغربية في اليوم التالي إحباط محاولة قام بها نحو 400 مهاجر من جنوب الصحراء لاجتياز السياج الحديدي نحو سبتة.

ويرحل الذين يتم القبض عليهم إلى مناطق أبعد جنوبا عبر حافلات أو إلى بلدانهم، لكن عمر مصمم رغم كل المخاطر على محاولة الهجرة، قائلا "قررنا الهجرة لضمان مستقبلنا، لم نجد ما نقوم به في غينيا، الوضع صعب هناك". ويعد الغينيون من أوائل المهاجرين نحو أوروبا. ويحلم أحمد بأن "يصبح لاعب كرة محترفا في أوروبا"، ويقول "ألعب في وسط الميدان أريد أن أصل إلى ألمانيا إذا ما تركوني أغادر"، مغطيا عنقه بوشاح يقيه لفحات البرد. ورغم الصعوبات المتزايدة يفضل المهاجرون العبور من المغرب على أن يمروا من ليبيا حيث ينتشر العنف، وكما يقول أحمد "حاول أصدقائي المرور لكنهم أخبروني أن الأمر كان صعبا جدا".

ويرسم الثلاثي صورة وردية عن الحياة في أوروبا مثل الكثير من الشباب الحالمين بمستقبل أفضل، دون أن يكونوا واعين بالصعوبات التي تنتظرهم.

وقال إبراهيم من غينيا كوناكري وهو يشير إلى جروح في يده من محاولة فاشلة للقفز فوق السياج العام الماضي "إخوتنا الذين عبروا إلى إسبانيا يعيشون الآن حياة هانئة".

وبينما يحاول الكثيرون العبور عبر الجيبين الإسبانيين سبتة ومليلية يفضل آخرون ركوب "قوارب الموت"، كما تسمى في المغرب، نحو السواحل المتوسطية جنوب إسبانيا، لكنها تتطلب كلفة "باهظة لا أملك ثمنها" كما يقول أحمد.

وبحسب وزارة الداخلية الإسبانية، مكنت جهود السلطات المغربية من خفض أعداد المهاجرين، فلم يصل منهم سوى نحو 28 ألفا سنة 2019 إلى إسبانيا عبر البحر ما يمثل انخفاضا بـ50 في المئة مقارنة مع 2018.

حلم الهجرة إلى أوروبا محفوف بالمخاطر لذلك يختار البعض الاستقرار في المغرب والاندماج في المجتمع المغربي حتى أصبح خيارا للبعض مع التسهيلات التي تقدمها المملكة لهم.

وبعد قضاء خمسة أعوام في المغرب، قررت سونيا (35 عاما)، وهي من الكاميرون، التخلي عن فكرة الوصول إلى أوروبا، وهي تعتبر المغرب حاليا وطنا لها ولابنتها سلمى التي تتعلم بإحدى المدارس المحلية.

وتتلقى سونيا دورة تدريبية مع إحدى منظمات المجتمع المدني المحلية على أمل تعزيز فرصها في الحصول على عمل، لكن العثور على وظيفة ليس أمرا يسيرا في بلد يعاني اقتصاده من وفرة العمالة غير الرسمية ومعدل بطالة يبلغ عشرة في المئة مع وجود واحد من بين كل أربعة شبان بلا عمل.

وقال أحمد سكيم المسؤول بوزارة الهجرة المغربية إن الوكالات التابعة للدولة بإمكانها إيجاد فرص عمل للمهاجرين وإنه جرى توظيف نحو 400 منهم في القطاع الخاص، وبلغ عدد الأطفال المهاجرين المسجلين في عام 2018 بالمدارس المغربية 5545 طفلا، بينما تلقى العلاج في المستشفيات المغربية 23 ألفا من المهاجرين.

الصينيون يطاردون في بكين ضحايا لعنة كورونا

بكين - يعرض سكان بعض الأحياء في الصين جوائز مالية ويطرقون الأبواب ويستجوبون الناس الساعين لدخول مناطقهم، لكنهم لا يبحثون عن مجرمين بل عن أي شخص قدم من ووهان، المدينة التي ظهر فيها فيروس كورونا المستجد مثيرا الذعر في الصين وخارجها.

وأثار تمديد عطلة السنة القمرية الجديدة نهاية الأسبوع المخاوف من انتشار أكبر للفيروس في وقت يكثر فيه تنقل الناس في كافة أنحاء البلاد.

ومنعت بعض الأحياء في بكين الوافدين من الدخول إليها، حيث رفعت بعضها سواتر عشوائية الصنع، لإجبار الزائرين أو أي شخص عائد من العطلة على تسجيل تاريخ سفره.

> **بعض أحياء في بكين تمنع الوافدين من الدخول إليها وترفع سواتر لإجبار العائدين على تسجيل تاريخ سفرهم**

وذهبت إحدى مناطق مدينة شيجيانغ شوانغ (شمال) إلى حد عرض حوافز مالية قيمتها 2000 يوان (288 دولارا) لمن يدلي بمعلومات عن أي شخص سافر إلى ووهان في الأسبوعين الماضيين.

وبالنسبة لبعض الأحياء، فإن أي شخص سافر إلى مقاطعة هوباي (وسط) وعاصمتها ووهان لم يعد مرحبا به على الإطلاق.

وقال حارس أمن يضع قناعا واقيا أزرق اللون، على مدخل أحد أحياء بكين، "حتى إن كنت تسكن هنا لا يمكنك الدخول". وأضاف "إذا كنت من هوباي يتعين عليك أن تبلغ لجنة الحيّ".

وسارعت الصين لاحتواء الوباء بوقف حركة النقل من ووهان، ومنعت الرحلات السياحية إلى الخارج واختصرت وجهات الحافلات الطويلة وعلقت الآلاف من رحلات القطارات، لكن الفيروس استمر في الانتشار موديا بأكثر من 361 شخصا مع أكثر من 17 ألف إصابة في أنحاء البلاد.

وقبل أسبوع، حضت اللجنة الصينية للصحة القرويين في أنحاء البلاد على عدم ترك أي نقاط فارغة عند التحقيق في الأماكن التي سافر إليها الناس.

لكن مع انتهاء العطلة الاثنين، تواجه الحكومات المحلية ضغوطا للعثور على الأشخاص الذين زاروا مقاطعة هوباي الأكثر تضررا بالفيروس.

وقالت امرأة تعمل في مجمع في بكين عرّفت عن نفسها باسم ماي "إذا كانت وجوههم غير مألوفة، أو كانوا يجرون حقيبة، أطلب منهم أن يتسجلوا"، مضيفة أنها تشعر بالقلق.

ورغم أن بعض الأحياء اتخذت قرارا متطرفا بمنع دخول الزوار أو القادمين من هوباي، إلا أن العديد منها ستسمح للمسافرين بالعودة لكن مع مراقبة صارمة لفترة أسبوعين من الحجر الصحي.

وشرحت المسؤولة في أحد أحياء بكين شو ايمين أن الأهالي وعندما يعودون إلى منازلهم "لا يستطيعون الخروج والدخول مجددا، وإذا أرادوا شراء الطعام فإن لجنة الحي يمكنها القيام بذلك نيابة عنهم".

وبحسب شو، يتلقى السكان القادمون من محافظة هوباي اتصالات يومية ويجري التحقق من درجات حرارة أجسامهم خلال فترة الحجر الصحي.

وقالت إن لجنة الحي التي تعمل فيها والتي تدير مجمعا سكنيا يضم أكثر من 2400 منزل، قد زارت كل السكان وتحققت من سجلاتهم. وأوضحت "المعلومات التي نحصل عليها كاملة"، مشيرة إلى أن لجنة الحي تتحقق كذلك من سجلات سفر السكان.

وأكدت "نريد أن يتحول الجميع إلى مصدر للمعلومات"، مضيفة "إذا شك السكان بجارهم، فعليهم أن يتصلوا فورا بلجنة الحي".

وانتشر الفيروس بشكل كبير في الصين، على الرغم من الإجراءات الصارمة التي اتخذتها الحكومة في عزل هوباي، ما يلقي الضوء على التحدي الكبير المرافق لمكافحة فيروس مماثل.

وأعلنت السلطات الأحد عن اتخاذ إجراءات لعزل مدينة وانجو التي يقطنها 9 ملايين شخص وحيث أفيد عن المئات من الإصابات بفيروس كورونا المستجد.

وتبعد وانجو أكثر من 800 كلم عن ووهان.

ومن شأن إجراءات إغلاق الأحياء أمام الوافدين من الخارج أن تثير ردود فعل سلبية من سكان محبطين.

وأعربت الحكومة الصينية عن قلقها من هذه الإجراءات، مذكّرة مسؤولي الأحياء السبت بأن ليست لديهم "سلطة" لمنع الأشخاص الوافدين من الخارج من الدخول طالما تم التحقق مسبقا من درجات حرارتهم.

لا ترحيب بالآتين من ووهان

لكن ذلك الإجراء لم يخفف من خوف أن ينشر العائدون من العطلة الفيروس في أحيائهم في العاصمة.

وقالت غو هيرونغ العائدة إلى بكين من شنغدو في مقاطعة سيتشوان في جنوب غرب الصين الأحد إنها منعت من دخول المجمع السكني الذي تعيش فيه.

وأكدت هذه المرأة البالغة 24 عاما من محطة قطار غرب بكين أن المسؤولين عن الحي قالوا لها "إنه من غير المسموح لها إطلاقا الدخول إليه". وقالت "إذا لم يسمحوا لي بالدخول حقا، فسأشتري بطاقة للعودة إلى المنزل".

وازدادت المخاوف من تعميق الوصمة بحق سكان ووهان وهوباي مع تزايد استهداف الأشخاص القادمين أو المتحدرين من المنطقة.

وكتب أحد المستخدمين على موقع ويبو الصيني للتواصل الاجتماعي "الطريقة التي ننظر بها نحن إلى ووهان، هي الطريقة التي يرى بها العالم الصين".

وأشارت لوسي هونغ، مخرجة أفلام وثائقية تعيش في بكين، مع بدء تصاعد الفيروس، إلى انتشار "الانتقادات بحق سكان هوباي وسكان ووهان" على موقع ويبو.

وأوضحت "كوني متحدرة من ووهان، حزنت كثيرا"، مضيفة "شعرت بخيبة أمل أن الناس لم يظهروا على الأقل تعاطفا".

وقالت إنها تفهم الضرورة إلى التزام الحذر، لكنها أكدت أن "عدونا كان الفيروس دائما، ولا يجب أن يتحول إلى سكان هوباي وسكان ووهان".